تردُّد الماء
وحماس الحجر

محمود درويش

١ ــ لا اقول .. واقول

• جاء وقت الكلام الذي لا يتكلم . هذه الانهار النازلة من لحاء الشجر ومن ينابيع المصادفات والغضب تصب الآن .. الآن في بحيرة الصفر .

وأعترف ، باسم الذين جاءوا الى الشارع باللغة العامية وارتطموا بالحائط المسدود باللغة الفصحى ، أعترف بأنني أدخل هذا البياض بدون خطة جاهزة . ومع ذلك ، فانني أدخل هذا البياض برشاقة الذاهبين الى غموض أجدى .

وأعترف ، أمام هذا البياض الذي يعتصرني كلما صغر ، بأنني لم أصل بعد الى الكلام الذي يليق ببساطة زقاق أنجبني واختفى في الحروب .

جاء وقت الكلام الذي لا يقال ، الكلام الذي يسفك . جاء منذ عشرين قرنا واكثر . وفي نهائية العناق الذي يتفتح او يتكسر ندخل في دائرة العناق التي تتكرر . من كان منكم بلا خطيئة فليرجمني بمنفى . ومن كان منكم بلا وطن فليرجمني بحجر .

وأعترف ، باسم العيون الصغيرة التي ترى القذائف قبل النور ، وباسم الشفاه الصغيرة التي تذوق التراب قبل الحليب ، بأن علاقة القلب بالحنجرة تقود الى الاغتيال أو تقود الى الاعتزال . جاء وقت الكلام حين مضى وقت الكلام . وفي كل حلم نسير الى خيمة أخرى ، وفي الخيمة ثقب واحد يطل على الولادة أو الهزيمة .

انني أضع مسدسي عند حدود الرغبة . وأعلق على حائط الآخرين حصانا أعلى من الحائط . تحته المدينة وخلفه اجتهادي . وهذا يعني ان حـــالة الانتحار كاملة ، لان الانهار النازلة من ضروع الجبال تسير الى بحيرة الصفر . وأحاول أن أنجز انتحاري وانقذ النهر ، فأضع جسدي صخرة لتغيير المسار الذي لا يروق لي .

وفي أوقات الفراغ ، أمارس هذه الهواية السيئة في النظر الى الادوار : أن يكون السنونو بشارة الربيع ، وأن يكون السمان بشارة الخريف . وأن يكون الوطن أجمل من الاغاني .

ولكن أشياء كثيرة تتغير ، كأن تصير الجراح موانىء للسفن وللتجار الذين ينطقون لفظة « الوطن » بشكل صحيح . وأن تتحول العصافير الى جوقـــة تصفيق لرئيس الشرطة في مدينة لم تهبط من الخارطة . وأن .. ان .. أن أضبط الآن انفجارات دمي ، وأرجىء صرخة احتجاجي الى نهاية سطر آخر .. حيث يكون الرقيب قد نام من السأم .